الاحتفال بالدستور

لقد كان لاعلان الدستور في البلاد العثمانية اعظم وقع في نفوس العثمانيين فعقدوا لهُ حفلات باهرة في بلادهم وفي كل البلدان التي هاجروا اليها تُلي فيها من الخطب والقصائد ما لو جُمع لملأ مجلدات كثيرة . وقد اخترنا من ذلك خطبة وقصيدة رأيناها من ادل ما انشئ في وصف الحالة الحاضرة . والخطبة وموضوعها " نحن والدستور " لحضرة الاستاذ جبر ضومط من اساتذة المدرسة الكلية الاميركية في بيروت والقصيدة وموضوعها " وليس يفرقنا دين ولا نسب " لعزتلو افندم سعيد بك شقير مدير عموم حسابات السودان

نحن والدستور

كنا منذ بضعة اسابيع بل منذ اقلّ من ذلك يناجي احدنا نفسهُ ولا اقول اصدقاءهُ بسوء ما صرنا اليهِ ويخافُ على نفسهِ منبّهٌ تلك المناجاة . يخاف ان يبدو على وجههِ شيءٌ من امارات ما يجول في خاطرهِ فيؤخذ بتهمة ذلك الخاطر ويُساق الى السجن او المنفى . وان كان ممن يؤبهُ لهُ فربما سيق الى القتل او الكورك ومَن يجسرُ ان يدفع او يقولَ رفقاً . وربما كان عقاب الشافع او طالب الرفق اشد من عقاب المتهم

منذ بضعة اسابيع كان كثيرون من اعيان العثمانيين واشدهم محبة واخلاصاً في رفع شأن العثمانية يخاف ان تفلت من صدرهِ زفرةٌ او يباغتهُ تنهُّد فينقل عنهُ خبر تلك الزفرة او ذلك التنهد جاسوس عليهِ من المتظاهرين بصداقتهِ او ممن هم في خدمتهِ بل ربما نقل عنهُ الخبر احد بنيهِ او امرأتهُ وهناك الطامة الكبرى والبليّة العظمى

منذ بضعة اسابيع ايها السادة كان تألُّمُ المتألم منا سرًّا على ما وصلت اليهِ العثمانية وعلى ما صار اليهِ العثمانيون ذنباً من اكبر الذنوب وكان احدنا يخاف ان بعض اهل الشرّ والنذالة يدسُّ في بيتهِ او بين كتبهِ كتاباً او بعض وريقاتٍ بصورة كتاب الى احدهم او مقالةٍ جريدة فكان ذلك يكفي لان يُحسب من اكبر المجرمين والخونة المارقين ولو كان صدرهُ يفلي بحب العثمانية والعثمانيين

وخلاصة ما يقال أنا كنا منذ بضعة اسابيع والظلمة تغشانا والمخاوف تتهدد كل عثماني حرّ منا نزيه في نفسهِ صادق في عثمانيتهِ مخلص لامتهِ . واريد بالاخلاص الاخلاص الحقيقيّ المبنيّ على العلم والحكمة والامانة لا هذا الاخلاص المدّعى زوراً المنافق فيهِ بهتاناً

الذي كان كثيرون يضعونهُ على وجوههم الصحيحة والسنتهم الكاذبة

كنا منذ بضعة اسابيع والصدور ضائقة بما فيها والنفوس واجمة من هول ما ترى من موقتها والعقلاء النزهاء لا يدرون ماذا يستصوبون ولا ماذا يقولون وكأنما أُطبقت عليهم السماء وسدَّت عليهم منها منافذ الرحمة او ضغطت عليهم الارض حتى رضتهم رضًّا فالصقتهم بالتراب او دلعتهم الى مخارم الجبال وبطون الغبران وظلمات الكهوف وقد حصرت صدورهم وساءت او كادت ظنونهم تسيء بالعناية الالهية . بينما نحن في هذه الظلمة المدلهمة وفي حال من اليأس والقنوط ما شهدنا مثلها ولا اباؤنا الاولون سطع علينا بغتة نور القانون الاساسي فاشرقت على آثاره شمس الحريَّة الشخصيَّة والحريَّة القوميَّة والحريَّة الفكرية الادبيَّة

ما بين غفلة عين وانتباهتها يغير الله من حال الى حال

واذا عظمت النعمة فليس يؤديها الاَّ الشكر . فالشكر لله ثمَّ الشكر لهُ . وبعد الشكر لله لا يسعنا الاغضاء عمَّا فعلهُ امراء جنديتنا العثمانية البواسل يازي وانور والوف امثالهم وكلهم في الشرف والهمة والاستبسال في سبيل العثمانية يازي وانور

وبعدُ فموضوعي مؤلف من كلمتين الاولى منهما "نحن" والثانية "الدستور" ولا بدَّ لي من تحديد ما يراد بهاتين اللفظتين وابدأ بلفظة الدستور اولاً واعني كل دستور عمومًا ودستورنا العثماني خصوصًا

ما هو الدستور؟ هو القوانين المسنونة وفقًا للاختبار والحكمة ليعامل بموجبها افراد الامة اسعادًا لهم من حيث هم افراد واسعادًا وتعزيزًا لهم من حيث هم امة اي مجموع افراد . وللافراد كل الحق والحريَّة ان يتقاضوا المعاملة بموجب نص تلك القوانين صراحةً او ضمنًا وللامة ايضًا مل الحق والحريَّة ان تحتاط لحفظ هذه القوانين وصيانة حرمتها ممَّن يتخوف منهُ الاعتداء عليها او اهمال العمل بها

هذا تحديد شبيه بتحديد المناطقة ولكني لا اضمن انهُ جامع مانع كما اني لا اضمن ان يكون موافقًا تمام الموافقة لتحديد فلاسفة العمران او المشرعين ولكني اقول انهُ تحديد فيهِ من الصحة القدر الذي اريدهُ لبيان اهميَّة كل دستور وعظم قيمتهِ الحقيقية

على انهُ يجوز تعدد التعاريف اذا كان المعرَّف متَّسعًا كما هي الحال في الدستور لانهُ يجوز ان يكون الحد او التعريف صفةً من صفاتهِ او غاية من غاياتهِ كما يجوز ان يكون بيانًا لكيفيَّة حصولهِ والعوامل التي اثَّرت في كيانهِ تدريجًا وما أُنفق في سبيل ذلك من القوى المعنويَّة والماديَّة حتى بلغ ما بلغ اليهِ

الدستور ايها السادة هو نتيجة محاربات الخير والشر اجيالاً الله يعلم كم في عدتها وبعبارة اخرى هو مجموع ما استفادتهُ الانسانية من غلبات الخير على الشر في اثناء العراك الهائل الذي قام بينهما من اول عهد الانسان الى الآن هو نتيجة غلبات العدل على الجور والعقل على الحيوانيَّة والعلم على الجهل في اثناء مئات من الاجيال هو ثمرة عقل كل عاقل في المجتمع الانساني وحكمة كل حكيم واستقامة كل مستقيم وصبر جميع هؤلاء على المجاهدة المستمرَّة مدى الحياة اثناء الاجيال التي غبرت . هو الغاية ومجموع النتائج التي حصلت من سيف استُلَّ في نُصرة العدل والحق والاستقامة منذ قام عادل وعارفٌ بالحق ومستقيم بين افراد الانسانيَّة لحد هذه الساعة

الدستور العادل المرعي الاجراء عند كل امة متمدنة هو الغاية ومجموع النتائج التي حصلت من كل لسان تكلَّم بالحق انتصاراً للعدل واذلالاً للجور كما انهُ غاية ومجموع نتائج كل ما خطَّهُ يراع حكيم عالم وكاتب فاضل انتصاراً للانسانية على الحيوانيَّة وللعلم على الجهل وللحكمة على السفاهة ولكل ما هو شريف وعادل على ما هو خسيس وجائر

بل الدستور العادل المرعيُّ الاجراء هو عند التحقيق مظهر لارادة الله في المجتمع العمراني واثر مما علَّم بهِ وجاهد لهُ الانبياء والمرسلون ومن اقتفى خطواتهم واهتدى بهديهم من العلماء الراسخين والاولياء الصالحين والوعَّاظ اهل الغيرة المتقين

ايها السادة هذا هو الدستور العادل على الاطلاق ودستورنا العثماني دستور خاصٌّ يشتمل على كل ما يشتمل عليهِ دستور عام ويتناول كل ما قلناهُ عن الدستور العادل من الصفات والمقوِّمات وزيادةً ايضاً شأن كل خاصٍّ فانهُ يشتمل على العام وزيادة . وهذه الزيادة هي تعريض نفوس نحو من اربعمئة الف رجل من رجالنا العثمانيين للموت في حرب اهليَّة طاحنة . ولولا حكمة امراء هذا الجيش ومن نصرهم من خيرة اعيان العثمانيين بالرأي والمال . ولولا اقتناع جلالة مولانا السلطان بانَّ ما عُرِضَ من الطلب على جلالتهِ بواسطة جندينا الباسلة انما هو صوت الامة — لولا ذلك كلهِ لكانت الدماء الآن تسيل انهاراً والاموال تُنفَق جُزافاً في سبيل الحصول على هذا الدستور

فهذا هو دستورنا العثماني الذي احرزتهُ لنا سيوف اجنادنا العثمانيين بمساعدة احرارنا المتمدنين من امراء ووزراء وقادة جند باسل وعلماء اعلام وفقهاء عظام واهل حلٍّ وعقد من اعيان الامة ووجهائها في سائر انحاء المملكة فانهم كلهم رضوا بهِ وحلفوا الايمان الرهيبة على مراعاتهِ والاحتفاظ بهِ كما يحتفظون باموالهم واعراضهم وانفسهم وكلهم امضى على وجوب

الطاعة لهُ والعمل بهِ فاصبح من ثمَّ مجدُ الامة وفرُّتها وملكُ كل فرد من افرادها يتمتَّعون ببركاتهِ في حياتهم ويورثونهُ لمن يخلفهم من ابنائهم بعد مماتهم . فليحيَ هذا الدستور مجد الامة وحياتها وعزُّها وليحيَ القائمون بنصرتهِ والعاملون بهِ

ترون ايها السادة مما ذكرتهُ في بيان حقيقة الدستور أني لا أرى انَّ افراحنا بهِ هي صبيانيَّات تافهة ولا احتفالاتنا ومظاهراتنا الخارجيَّة تكومة لهُ ولحياتهِ شهوات ضارَّة بل هي مهما بلغت مع القصدِ والحكمةِ قليلةٌ في جنبِ اهميتهِ ومقدار قيمتهِ . واي قيمةٍ اعظمُ من قيمة الحياة حياة الفكر والقول والعمل المشروع للفرد وحياة العزّ والقوَّة والتوازر والاستقلال والاستبسال للامة . فمن اراد الحياة فليقل ليحيَ الدستور العثمانيُّ والقائمون بهِ ومن اراد الموتَ موتَ الذلّ والصَّغار والاستعباد فلا رحمهُ الله ولُعِنَتْ هذا الشخص من بين جماعة العثمانيين الحرَّة

ايها الكرام فرغتُ الآن من الكلام على الدستور وهو احد كلمتَي موضوعي وبقي عليَّ الكلام على الكلمة الثانية منهُ وهي كلمة « نحن » فارجو ان تعيروني إصغاءكم في بيان المراد منها وما اليهِ فانَّ هذا البيان الثاني لا يقلُّ في الاهميَّة عن البيان الاول إنْ لم يكن اهمَّ منهُ

قلتُ ما محصَّلهُ انَّ دستورنا العثمانيَّ هو مجسمُ ارادة الامة العثمانيَّة العادلة الخيِّرة وهو ملكُ أفرادها اليوم وميراثُ ابنائها غدًا . وقد فسَّرنا الارادة بالعادلة الخيِّرة والاَّ فالاستبداد ارادةٌ وحكومةُ الظلم والجور والبغي ارادةٌ ايضًا . وارادة الامة العثمانيَّة (وكل امةٍ) هي ارادةُ مجموع افرادها او من ينوب منابهم من المنتخبين واهل الحلِّ الذين يقولون عن اتباعهم ويقطعون من دون استشارتهم ومراجعتهم

لكن ربما يُستنتجُ من قولنا ان الدستور هو مجسَّمُ ارادة الامة ان قيامهُ او سقوطهُ متوقفان على ارادة الامة فاذا ارادت اقامتهُ قام اي روعيت احكامهُ وعُمل بها واذا ارادت اسقاطهُ سقط اي أُهملت احكامهُ وعمل باحكام منافية لها . وظاهر هذا الاستنتاج صحيح ولكنهُ ظاهرٌ مموَّهٌ مشوبٌ بكدورةٍ من النظر الفاسد . والحقيقة هي ان قيام الدستور اي مراعاة احكامهِ والعمل بها دليلٌ على ان في الامة ارادة خيرة عادلة غالبة والدستور هو مجسم تلك الارادة . واما اذا سقط فلا يكون سقوطهُ دليلاً على ان الامة ارادت اسقاطهُ بل هو دليلٌ على ان الامة ميتة لا إرادة لها كأمة لا كافراد . وبعبارة اخرى لما كانت الامة هي مجموع الافراد كان لنا ان نقول ان قيام الدستور واستمراره مرضيًا دليلٌ على ان هذا المجموع حيٌّ مريد ارادةً خيِّرة عادلة اما سقوطهُ اي اهمال العمل بهِ فدليلٌ على ان

هذا المجموع (لا الجميع) ميتٌ جبناً او جهالةً كمجموع لا كافراد اذ لا تخلو الامة من افراد لهم ارادة خيرة تعضد الدستور العادل ولكنهم كثيراً ما يكونون مضمونين مغلوبين على ارادتهم كما كان الحال عليهِ بيننا منذ بضع سنين بل منذ بضعة اشهر

ولنرجع الآن بعد هذا الاستطراد الى بيان المراد بكلمة " نحن " فمن نحن ؟ يجوز لي ان أعمم في الجواب وان أخصص فان عممت قلت نحن من العثمانيين الذين لهم ارادةٌ وارادتهم جزءٌ من ارادة الامة العثمانية . وان خصَّصت قلت نحن جماعةٌ اكثرهم من اللبنانيين قاموا باحياء هذه الليلة الزاهرة ليحيَّة الدستور والاقرار بالمنة علينا الحائهِ من امراء جندينا البواسل . ومعظم هذه الاكثريَّة من قضاء الشوف وهم من اعيانهِ واهل الوجاهة فيهم فمن يجوز ان تمثل ارادتهم ارادة الاهلين كلهم او اكثرهم . لكن يا ترى اذا مثلت ارادة هولاء السراة الحاضرين الآن ارادة اكثر اهل قضاء الشوف فهل تمثل ارادة اللبنانيين كلهم . وهب انها مثلت ارادة كل اللبنانيين فهل تنطبق ارادتهم على الدستور العثماني الذي هو مجسم ارادة مجموع الامة العثمانية العادلة المقدسة

جائزٌ ان يكون الجواب من قبيل الجواز او من قبيل القطع بالحكم . اما انا فاقول ان ارادتكم ايها السراة العثمانيون التي تمثل ارادة اهل قضاء الشوف كلهم على الارجحية الغالبيَّة ولعلها ايضاً تمثل ارادة كل اهل لبنان لا تنطبق على ارادة الامة العادلة تمام الانطباق الواجب الَّا مع الاخلاص . فان كنتم مخلصين في ارادتكم واتفاقكم المتبادل فارادتكم منطبقة على الدستور وهي جزءٌ من ارادة الامة . اما اذا لم يكن اخلاصٌ وكان هناك اهواءٌ واغراضٌ ذاتيَّة خاصة تحسبكم ان مثل هذه الاغراض كانت فيما مضى سبباً لكل الويلات التي مرَّت بنا . الويلات التي لا نذكرها بل لا تمرُّ في خواطرنا الَّا وتنقبض صدورنا اشد الانقباض من مجرد ذكرها بل من مجرد مرورها في البال مرور المسموع فانا التقدم اليكم بالشرف العثماني وبشرف جنديتنا الباسلة ان تراجعوا ضمائركم وتتفطنوا لخفايا النفس وتفتشوا مخابيها فاصل هناك هوًى يلوّن الارادة حب الذات بلون محبة الامة والشرف ويصوّرها الغرض الخاص بصورة الغرض العام والمصلحة الذاتية بصورة المصلحة القومية العمومية

ايها الوجهاء من كان منكم يحبُّ الظهورَ ويُعدّ الصيت — ولا عارٌ ولا غضاضةٌ على احد بسبب ذلك — فليراجع نفسهُ وشرفهُ العثمانيَّ قبل ان يجزم ارادتهُ بما هو في سبيلهِ من الوسائل التي تؤدي به الى غايتهِ هذه فانَّ هذه المحبة قد تنقادُ للهوى والهوى في جانب الباطل دائماً وعلى عداء مع الدستور المقدس

ان المناصب في خدمة الامة على اختلاف انواعها وتفاوت درجات شرفها واهميتها جائزة لكل عثماني كفء لها ومباح له طلبها والسعي في احرازها بل والتنافس في ذلك ايضاً الا ان الشغف بالترفع في المناصب قد يُباينهُ الاخلاص احياناً كثيرة ويدخله الهوى وذلك ففيه ما فيه من الخطر الذي قد يسوق صاحبهُ الى الجري في خطة اللوم السافلين خطة التزلف الى من في يدهم الامر والنهي والعزل والتنصيب . فمن كان يرغب في المناصب فليحاسب نفسهُ وليتقِ مغبة التزلف الى من انقذوا الامة من الحالة التي كانت فيها قبلاً الى الحالة المجيدة الشريفة التي هي عليها الآن . فما اوصلنا الى ما وصلنا اليه سابقاً الا اطلاع واغراض وحب وجاهة وتفوق في غير موضعها او في غير الحق فجرّت كل هذه او بعضها الى التزلف . والمتزلف قلّ ان يصوّر الامور الا في غير صورتها الحقيقية . فالاناة الاناة والاخلاص الاخلاص ايها العثمانيون ولا شمت بنا الاعداء وكثير ما هم . اما والذي نفسي في يده اني لأفضل ان تضرب عنقي على ان آتي ما فيه معرّة او غضّ من شرف عثمانيتنا الجديدة فانها تجلّت للملإ اجمع للصديق والعدو نقيّة من كل دنس ومن ثمّ فالله هو يوفق منا نحن مريديها تظهر على بياضها التي لطخة سوداء شائنة يتألم لها قلب المحب وتصغر نفسهُ ويطير لها فرحاً قلبُ العدو وتندفع نفسهُ الخبيثة للتشنيع والمذمّة ويطلّ راسهُ كبراً بعد ان كان اخذهُ صغاراً وجبناً — ومع اني اشعر هذا الشعور وانا صادق فيه نظير كل واحد منكم — مع ذلك لا آمن من بدوات النفس واهوائها الخفيّة المخرقة ان تفسد اخلاصي إن لم اكن على اشدّ الحذر منها والانتباه لها — اخافُ هذا مع بعدي عن التدخّل بما يسمونهُ سياسة او حزباً وانصراف نفسي عن الوظائف جملة بما انا راضٍ به تمام الرضى من خدمة العلم والمتعلمين

على ان الاخلاص وهو من مقوّمات العثمانية واهمّ اركان هذا البنيان الجديد الشريف الذي شرع فيه احرار العثمانيين لا يكفي وحدهُ ان لم يصحبهُ العلم والخبرة فكم من همّة جهل وتسرّع من اخلص المخلصين افسدت رأياً كان فيه مجدُ العثمانية وقوّتها وحياتها لم يكن يطمع في افساده اعدى اعدائها . والعلم نتيجة الفكرة والتروّي والتدبير فلا بدّ لنا اذن من كل هذه قبل العمل . وربما لحق بنا المخلص المتسرّع من الضرر في ساعة اضعاف ما يلحقهُ بنا المنافق في ساعات بل في اشهر

تعلمون ايها السادة ان يومنا الذي نحن فيه يوم تأسيس لا تزيين وهو يوم لهُ ما بعدهُ فان كان الاساس من ثمّ راسخاً ثابتاً فكل ما يبنى عليه فيما بعدهُ يكون شبيهاً به ويكون ثابتاً

والآفاق ادرى مني بمصير بنيان تسرّع في تأسيسه . وعليه فنحن اليوم احوج الى التروّي والفكرة من كل الايام التي مرّت بنا ومن كل الايام التي ستمرّ بنا بعد ان نستتب امورنا ويرسخ اساس عثمانيتنا الجديدة الحرّة

فيا ايها الذين تتسرّعون في آرائكم ولا تفكرون في عواقب ما ترتأون ولا في منتهى اعمال لم توفّق الى الرأي الصائب دعوا التسرّع جانباً فان تسرّعكم لا يفيدنا الآن وان كنتم اخلص المخلصين واغير اهل الغيرة الحقة على شرف العثمانية ومصلحة العثمانيين . إنا في حاجة الى المخلصين اصحاب العلم والخبرة الذين قبل ان يقولوا يفكرون ويتروّون وبعد ان يقولوا يفعلون كما يقولون مثل هؤلاء نطمئن اليهم نقومنا ونسلّم اليهم قيادتنا وتدبيرنا

ولا اعني باصحاب العلم والخبرة الثرثارين المكثرين من فضول الكلام كما اني لا اعني بهم من يستظهرون آداباً ويكثرون اقوالاً او يحسنون في ذاكرتهم اسفاراً او ينظمون وينثرون مدحاً وهجاء بل اعني باصحاب العلم الذين نحتاج اليهم اليوم اصحاب الرأي الاصيل والتدبير المحكم الذين يعرفون اهواء الامة ويعرفون امراضها ومراضع الخلل فيها ثم هم يعرفون كيف يصرّفون تلك الاهواء على مقتضى العقل والحكمة وكيف يداوون تلك الامراض ويسدون ذلك الخلل ولا بد ان يكون واحدهم عارفاً ايضاً بجمل احوال الامة العثمانية وما بينها وبين بقيّة الدول من المعاهدات والمتاجرات ويعرف ايضاً ما لتلك الدول من الخطط والتقليدات

هؤلاء هم الرجال الذين نريدهم في الوقت الحاضر وهم من المرادين بقولنا "نحن" في موضوع "نحن والدستور" ثم لا بدّ ان يكون لهؤلاء الرجال من مساعدين على شاكلتهم في الاخلاص والنزاهة والعلم والخبرة . واما الرجال الذين نريدهم مع الايام فلا مجال الآن لذكرهم وتعريفهم وما نطلبهُ من كل واحد منهم . وآخر ما اختم به مقالي أنّا نريد بلفظة "نحن" العثمانيين المخلصين النزهاء اهل العلم والخبرة اهل الحكمة والتدبير الذين يقولون قليلاً ويفعلون كثيراً . نريد بلفظة "نحن" المخلصين من اهل النجدة والقوّة كهؤلاء اليواسل الذين يبذلون نفوسهم دون الامة ودون انفاذ مآل دستورها او قانونها الاساسي العادل ويجعلون سيوفهم رهناً لاشارة اهل العلم والرأي والحكمة والتدبير من غير لفظ ولا قلقلة ولا دعوى . بمثل هؤلاء يحيا الدستور ويعظم شأن الامة فليحيوا وليحيَ الدستور الذي هو مجسم ارادة الامة ارادتها العادلة الخيّرة ولتحيَ الامة وليحيَ ابناؤها هؤلاء الاجناد اليواسل وكلّ اصحاب الارادة الحرّة والاخلاق الشريفة الفاضلة وليحيَ ايضاً رأس الامة العثمانية المجيدة الذي اصبح يرى ويحب نفسهُ اباً وافراد امته اولاداً والسلام

وليس يفرقنا دين ولا نسبُ

اليوم تفخر الاتراك والعربُ ... قد عاد عزهمُ والمجد والحسبُ
عزٌّ به فخروا من عزّ قبلهمُ ... من البرايا وسادوا اينما ذهبوا
لئن تكن عرضت في وجهه سحبٌ ... فالبدر في الافق تنشاهُ فينجبُ
او لم يكن عاد بعد الحجب مكتملاً ... فانهُ سائرٌ للتمّ يقتربُ
واليوم يبدأ تاريخ لمملكةٍ ... للجيش فضل به بالنير يكتتبُ
دستورها للعالي سوف يرفعها ... وحكمها الشوروي المجد يجتلبُ
احرارَ امتنا انتهضتمُ وطناً ... بكم مبلغ شأوًا دونهُ السحبُ
فكم صبرتم على ضيم الم بكم ... وما ثنى عزمكم ضيمٌ ولا وصبُ
وكم سعيتم وكان الموت يحصدكم ... فما رجعتم ولا خارت لكم ركبُ
ما مات من بطل الاّ انبرى بطلٌ ... للعيش يحتقر في الموت مرتغبُ
في الدردنيل وفي البسفور اعظمكم ... منها بقايا عليها المجد مكتئبُ
وفي الحجاز لكم في تربهِ رممٌ ... اسمى واشرف ما قد ضمت التربُ
وفي القلوب لكم ذكرٌ يخلد للادهار ما بقيَ التاريخُ والكتبُ
عمّ الشرق والاقطار قاطبةً ... ان العظيم لديهِ تصغرُ النوبُ
ولا تنال المنى والمرءُ معتزلٌ ... في بيتهِ جزعًا ان المنى تعبُ
ماتوا فعشنا واحيوا بعدهم وطناً ... فكل ما نحن فيهِ بعض ما وهبوا
وم تمت روحهم بل دبّ ثائرها ... في من اتى بعدهم كالنار تلتهبُ
اسدٌ بواسل يقنون الاسود وفي ... صدورهم انفسٌ من دونها الشهبُ
اذا دعا الموت فردًا هبّ كلهم ... حتى كأن المنايا الكأس والحلبُ
ظن الطغاة سكوتاً منهمُ جزعاً ... لكنهم سكنوا حيناً لكي يثبوا
ومذ غدا الظلم منهُ الارض واجفة ... ثاروا كأنهم البركان يضطربُ
ما قدموا حذرًا او ردهم خطرٌ ... وان يكن في جبين الليث ما ظلموا
ولا اشترتهم وعودٌ ملؤها ذهبٌ ... ولا ثناهم وعيدٌ ملؤهُ الغضبُ
ولا استمالهمُ مجدٌ يكون بهِ ... ظلمُ العباد ولا غرتهمُ الرتبُ
قالوا وقد شهروا الصمصام واندفعوا ... كالرعد يقصف في احشائهِ اللهبُ

للشعب حقٌّ اتينا اليوم نطلبهُ ... إما نذوق الردى او يصدق الطلبُ
حقٌّ شريفٌ لنا قد بات منتصباً ... والرد يلزم من قد راح يغتصبُ
عشنا بعصرٍ عجيبٍ أن يعاش بهِ ... لو لم نعش فيهِ قلنا إنهُ كذبُ
فالخوفُ مضطهدٌ والامن مضطربٌ ... والعرض منتهكٌ والرزق منتهبُ
فاستلَّ سيفاً يبازي كلهُ لهبٌ ... وقالَ انور قولاً دونهُ الذهبُ
ان التعصب في الاديان حكَّم في ... رقابنا الظلم للارواح يستلبُ
الدين لله دينوا كيف شاءكمُ ... أما بدين هوى الاوطان فاغتصبوا
هذي يدي اننا والله اخوتكم ... وليس يفرقنا دينٌ ولا نسبُ
وكلنا واحدٌ قد ضمنا علمٌ ... هو الهلالُ اليهِ الكل ينتسبُ
فيهِ لنا نسبٌ ما فوقهُ نسبٌ ... فيهِ التآخي فلا ترك ولا عربُ
فعاهدونا على هذي اليمين ففي ... حفاظها للعلى والعز مطَّلبُ
فنحن موثق فان متنا تعاهدنا ... في الحق فالموتُ فيهِ المجد يكتسبُ
حقن الدماء بذلٌ والردى شرعٌ ... واشرف الدم ما بالعز ينكسبُ
حول الخليفة خوَّانٌ لهم ارَبٌ ... في ذل مملكة عزت بها الحقبُ
ما همهم قط والاكباس عامرةٌ ... دمٌ بها سالَ او ربعٌ بها خربُ
اذا استجير بهم في أزمة نزلت ... جاءتهمُ فرصة عفواً ليكتسبوا
قد استبدوا باحكام لهم فسدت ... وكانَ دينهمُ التفريق والعصبُ
فنفرقونا وسادوا في مظالمهم ... ان عورضوا نقموا او خوصموا تكبوا
لله كم ركبوا اثماً وكم سفكوا ... دماً بريئاً وكم عاثوا وكم سلبوا
وكم محضناهم نصحاً فما انتصحوا ... وكم صحبنا فلم يسمع لنا صحبُ
اذا الثوى الحكم في ارض وخانك في ... تقويمهِ النصحُ لبَّتك القنا السلبُ
اليوم يومهم جئنا نحاسبهم ... على الذي خسروهُ والذي كسبوا
هيوا اذاً ممنا في مطلب جلل ... فالحق منتصرٌ والله مرتقبُ
فيا لها دعوةً في النفس قد وقعت ... كأنها السحر للالباب يختلبُ
هبَّ الجميع فلا الانساب تفرقهم ... ولا مذاهبهم في الدين والشعبُ
اتباع موسى وعيسى والنبي بنا ... عانوا الشقاق وفي استجوابها اصطخبوا
لما رأى الظالمون الصوت تجندهُ ... نار البنادق والمنية القضبُ

والشعب والجند بحرٌ هاج مضطرباً ... اخذوا كراسيهم كالبرق وانقلبوا
وفرَّ ذاك وهذا راح مختبئاً ... يرجو النجاة اتمَّا قلبهُ يجبُ
كانما الارض غضي سيء في وجوههم ... لا الفورُ يعصمهم فيها ولا الهضبُ
وباد للظلم عصرٌ يومهُ حقب ... وعاد للعرش عزٌّ كاد ينتقضبُ
هزَّ الحسام فخوف السيف يفعل في ... ذوي المظالم فعل السيف يخلضبُ
فكم ظُلمنا لان الظلم لذ لهم ... وكم أُهنا ولا ذاب ولا سيبُ
وكم صبرنا فزادوا في مظالمهم ... وكم شكونا فكان الويل والحربُ
وكم هجرنا لنجو منهم وطناً ... وكم تركنا حبيباً فيهِ يكتئبُ
كانما نحن اعداء لهم خلقوا ... وكل همهم الارغام والسلبُ
لا رحمة ليتيم في قلوبهم ... ولا لارملة اودى بها النجبُ
حالٌ اذا لم تكن في ذاتها عجباً ... فانما صيرنا فيها هو العجبُ
أليوم يا ايها الاحرار عيدكمُ ... بل عيدنا بكم فيهِ لنا الطربُ
فما سفكتم دماً في نيل مطلبكم ... ولا تركتم نفاة الحي تنتحبُ
قد ادهش الارض فعل دونهُ سحرت ... اعاظم الخلق ما شادوا وما نصبوا
علم وحزم وتدريب ومقدرةٌ ... لم تروها كتب الماضيين والخطب
ان الاولى زعموا بالامس عن سننٍ ... ابن لا رجال بتركيا لقد كذبوا
شاء الالهُ على ايديكم عظةً ... لمن طغى وغدا للظلم يرتكبُ
أن ليس حق يدوم الدهر مضطهداً ... وليس من ظالمٍ الاَّ وينقلبُ
اليوم نمرح احراراً بفضلكمُ ... نغدو وغمي ولا همٌّ ولا نصبُ
قد أُطلق الحر من سجن أُهين بهِ ... وعاد للوطن المحبوب مغتربُ
فلا جواسيس نخشى من وشايتهم ... ولا جرائد تأتينا فترتصبُ
وان جلسنا فلا جاسوس يرقبنا ... وان مشينا فلا جاسوس يتبعنا
ننام في الليل لا الاحلام تقلقنا ... ولنهض الصبح لا خوف ولا رُعبُ
ولا نداجي امرءاً قد راح يظلمنا ... ونطق الحق لا سجن ولا عطبُ
كم بين حالٍ لنا كنا طربٍ ... وبين حالٍ عدتنا كلها رهبُ
من شائبة الشك في ما نيل من وطر ... او ظنهُ حلماً او انهُ لعبُ
يجيبهُ الجيش والاسياف قد شهرت ... هذي الحقيقة ما في امرها ريبُ

لا زلت يا جيشنا غرًّا لامتنا وحظ اعلامك الاعجاد والغلبُ
كنا نراك رهيبًا بُعدهُ أرب واليوم صرت حبيبًا قربهُ الارب
وكنت تنفذ مضطرًا لكربتنا فصرت نرتجها ان حلت الكربُ
حررتنا فاذا جدنا بانفسنا فليس تفعل الاَّ بعض ما يجبُ
ما دام سيفك مسلولاً وانت يدٍ لنصرة الحق والاحرار تنتدبُ
وكلما وقعوا في مأزق حرج منك اتبرى فحامٍ جحفل لجبُ
ترق المعالي وتركيا لنا وطن للعزّ والمجد فيهِ ترفع القببُ

الراهن والواهن في المادية

(تابع ما قبلهُ)

مواضع الوهن في المادية

وجود الله — قال ديكارت الفيلسوف الرياضيّ الكبير في وجود الله ما مؤداهُ ان صورة الله في عقولنا لا يمكن ان تكون منا لانا محدودون وكذلك صورنا العقلية محدودة ومن المقرر ان العلة المحدودة لا تستطيع انشاء المعلول غير المحدود . اما القول بان صورة الله سلبيّة فاسد لان تلك الصورة اعظم صور عقولنا تتقدّم جميع الصور في الوضوح والقوّة بل وبدونها لا يمكننا انشاء صورة المحدود . ولا يسوغ لنا ان نقول ان عقل الانسان غير محدود بالقوّة ولذلك يمكنهُ انشاء صورة الله - لانّ صورة الله ليست صورة الكامل بالقوّة بل صورة الكائن بالفعل اعتبر ذلك في عدم امكاننا ان نضيف شيئًا الى كمال الله مهما اتسع نطاق معرفتنا . وليس ذلك فقط بل وجود الله امر ملازم لفطرة الكمال وهو ليس موجودًا لاننا نتصورهُ ولكننا نتصورهُ لانهُ موجود

وقال ليبنتز — ان مجرد قصورنا عن ادراك وجود الله دليل على ان النفس ليست اسمى الموجودات نعم ان لها مكانًا رفيعًا ولكنها قاصرة بحد ذاتها ولذلك ترى افكارنا مضطربةً وصورة الكائن المطلق ضعيفةً وشوّشة ومجرّد هذه الحقيقة يقودنا الى الحكم بان الكائن الاعلى وراء افهامنا وانهُ خلق العالمين مقيدًا فقط بادراكهِ غير المحدود . اه

واللاادرية حليفة المادية في اكثر مبادئها وساعدها الايمن في تعزيز مذهب النشوء الطبيعي على انها تناقضها في مسألة العلة الاولى وهذا امامهم سبنسر فانهُ على تشيعهِ للداروين